سورة النساء

١٨٦ ـ قوله تعالى: ﴿.. خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ..﴿١﴾﴾ أى حواء.

فإن قلت: إذا كانت مخلوقة من «آدم» ونحن مخلوقون منه أيضًا، تكون نسبتها إليه نسبة الولد، فتكون أختًا لنا، لا أمًا؟

قلت: خلقها من آدم لم يكن بتوليد، كخلق الأولاد من الآباء فلا يلزم منه ثبوت حكم «البنتية» و«الأختية» فيها.

١٨٧ ـ قوله تعالى: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ..﴿٢﴾﴾ أى إذا بلغوا وإن لم يسموا أيتامًا بعد البلوغ وإنما سموا أيتامًا هنا لقرب عهدهم بالبلوغ، ففيه مجاز الكون.

١٨٨ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴿٢﴾﴾ أى مضمومة إليها.

إن قلت: أكل مال اليتيم حرام وإن لم يضم إلى مال الموصى فلم خص النهى بالمضموم؟

قلت: لأن أكل مال اليتيم مع الاغتناء عنه أقبح فلذلك خص النهى به، ولأنهم كانوا يأكلونه مع الاغتناء عنه، فجاء النهى على ما وقع منهم.

١٨٩ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ ..﴿١١﴾﴾ أى سواء أكان الولد ذكرًا أو أنثى.

وما يأخذه الأب فيما إذا كان الولد «أنثى» من الزائد على السدس إنما يأخذه تعصيبًا، والآية إنما وردت لبيان الفرض.

١٩٠ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾﴾.

ذكر «الواو» فيه هنا، وتركها فى «التوبة: ٧٢» موافقة لذكرها هنا قبله وفى قوله تعالى: ﴿ومن يطع الله﴾ وبعده فى قوله تعالى ﴿ومن يعص الله﴾ وقوله تعالى: ﴿وله عذاب مهين﴾ بخلاف ذلك.

١٩١ ـ قوله تعالى: ﴿.. فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ ..﴿١٥﴾﴾.

أى ملك الموت، إذ المتوفى هو الموت، ولا يصح به المعنى بغير إضمار، إذ يصير المعنى حتى يميتهن الموت.

١٩٢ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ..﴿١٧﴾﴾ أى إنما قبولها عليه لا وجوبها إذ وجوبها إنما هو على العبد، وتوبة الله رجوعه على العبد بالمغفرة والرحمة.

فإن قلت: لم قيد «بجهالة» مع أن من عمل سوء بغير جهالة ثم تاب قبلت توبته؟

قلت: المراد «بالجهالة» الجهالة بقدر قبح المعصية وسوء عاقبتها لا بكونها «معصية» و«ذمًا».

وكل عاص جاهل بذلك حال معصيته لأنه حال المعصية مسلوب كمال العلم به بسبب غلبة الهوى.

١٩٣ ـ قوله تعالى: ﴿.. ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ .. ﴿١٧﴾﴾.

ليس المراد بـ «القريب» مقابلة البعيد إذ حكمهما هنا واحد. بل المراد من قوله ﴿من قريب﴾ من قبل معاينة سبب الموت، بقرينة قوله تعالى: ﴿.. حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ .. ﴿١٨﴾﴾.

١٩٤ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا .. ﴿٢٠﴾﴾.

---

١٩٠ ـ البرهان ٧٠ وانظر التفسير الكبير للفخر الرازى ١٥٨/١٦.

إن قلت: حرمة الأخذ ثابتة، وإن لم يكن قد أتاها المسمى، بل كان فى ذمته أو فى يده؟

قلت: المراد بالإيتاء: الالتزام والضمان كما فى قوله تعالى: ﴿إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف﴾ [البقرة: ٢٣٣] أى التزمتم وضمنتم.

١٩٥ ـ قوله تعالى: ﴿.. أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾﴾.

إن قلت: كيف قال ذلك مع أن «البهتان» الكذب مكابرة وأخذ مهر المراة قهرًا ظلم لا بهتان؟

قلت: المراد بالبهتان هنا الظلم تجوزًا، كما قال به ابن عباس وغيره.

وقيل: المراد أنه يرمى امرأته بتهمة، ليتوصل إلى أخذ المهر.

١٩٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ..﴿٢٢﴾﴾.

إن قلت: المستثنى منه مستقبل والمستثنى ماض فكيف صح استثناؤه من المستقبل؟

قلت: ﴿إلا﴾ بمعنى «بعد» أو «لكن» كما قيل فى قوله تعالى: ﴿لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى) [الدخان: ٥٦] والاستثناء هنا كهو فى قوله:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

والمعنى: إن أمكن كون فلول السيف من الكتائب عيبًا فهو عيب فيهم، فهو من باب التعليق بالمستحيل.

١٩٧ ـ قوله تعالى: ﴿.. إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾﴾.

إن قلت: كيف جاء بلفظ الماضى مع أن نكاح منكوحة الأب، فاحشة فى الحال والاستقبال؟

قلت: ﴿كان﴾ تستعمل تارة للماضى المنقطع نحو: كان زيد غنيا. وتارة

للماضى المتصل بالحال نحو ﴿وكان الله غفوراً رحيما..﴾ .. ﴿وكان الله بكل شيء عليما﴾ ومنه ﴿إنه كان فاحشة﴾.

١٩٨ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ .. ﴿٢٣﴾ ﴾.

ذكر «فى حجوركم» جرى على الغالب، فلا مفهوم له، إذ الربيبة التى ليست في «الحجر» حرام أيضًا بقرينة تركه فى قوله ﴿ .. فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ..﴾.

١٩٩ ـ قوله تعالى: ﴿ .. فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ..﴿٢٣﴾ ﴾.

إن قلت: ما فائدة ذلك مع أنه مفهوم من قوله ﴿وأحل لكم ما وراء ذلكم﴾ ومن مفهوم قوله ﴿من نسائكم اللاتى دخلتم بهن﴾.

قلت: فائدته رفع توهم أن «قيد الدخول» خرج مخرج الغالب، كما قيل: فى حجوركم.

٢٠٠ ـ قوله تعالى: ﴿ .. أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ ..﴿٢٤﴾ ﴾.

اقتصر عليه هنا، لأنه فى «الحرائز» المسلمات وهن إلى الخيانة أبعد من بقية النساء. وزاد بعد فى قوله ﴿محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان﴿٢٥﴾ ﴾.

لأنه فى «الإماء» وهن إلى الخيانة أقرب من حرائر المسلمات.

وزاد أيضًا فى المائدة فى قوله ﴿محصنين غير مسافحين﴾ قوله: ﴿ولا متخذى أخدان﴾ لأنه فى «الكتابيات» الحرائر وهن إلى الخيانة أقرب من الحرائر المسلمات.

٢٠١ ـ قوله تعالى: ﴿ .. فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ..﴿٢٥﴾ ﴾ أى الإماء، ففى ﴿آتوهن﴾ حذف مضاف أى وآتوا مواليهن أجورهن، لأن مهورهن إنما تعطى لمواليهم لا لهن. فإن أعطى لهن بإذن مواليهن فلا حذف.

---

٢٠٠ ـ البرهان ٧١ .

٢٠٢ ـ قوله تعالى: ﴿ .. فَإِذَا أُحْصِنَّ .. ﴿٢٥﴾ ﴾ أى تزوجن.

فإن قلت: الاحصان ليس قيدًا فى وجوب تنصيف الحد على الأمة إذا زنت بل هو عليها أحصنت أو لا؟

قلت: ذكر الإحصان خرج مخرج جواب سؤال فلا مفهوم له، إذ الصحابة عرفوا مقدار حد الأمة التى لم تتزوج دون مقداره من التى تزوجت، فسألوا عنه فنزلت الآية.

٢٠٣ ـ قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم..﴿٢٦﴾ ﴾ .

اللام فى ﴿ليبين﴾ بمعنى «ان» كما فى قوله تعالى: ﴿وأمرنا لنسلم لرب العالمين﴾ وقوله: ﴿وأمرت لأعدل بينكم﴾ «١٥» وقوله: ﴿يريدون ليطفئوا نور الله﴾ [الصف:٨] وقد قال فى محل آخر ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله﴾ [التوبة: ٣٢].

٢٠٤ ـ قوله تعالى: ﴿ .. إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً .. ﴿٢٩﴾ ﴾ أى أموال تجارة.

خص التجارة بالذكر عن غيرها كالهبة والصدقة والوصية لأن غالب التصرف فى الأموال بها، ولأن أسباب الرزق متعلقة بها غالبًا.

٢٠٥ ـ قوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الأَرْضُ .. ﴿٤٢﴾ ﴾ أى بأن يكونوا ترابًا مثلها لعظم هوله كما قال فى الآية الأخرى ﴿ويقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا﴾ [عم: ٤٠].

٢٠٦ ـ قوله تعالى: ﴿ .. فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ .. ﴿٤٣﴾ ﴾.

زاد فى المائدة عليه ﴿منه﴾ لأن المذكور ثم جميع واجبات الوضوء والتيمم، فحسن البيان والزيادة بخلاف ما هنا فحسن الترك.

٢٠٧ ـ قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ .. ﴿٤٧﴾ ﴾.

---

٢٠٦ ـ البرهان ٧٢ .

٢٠٧ ـ انظر البحر المحيط ٣/ ٢٦٥ .

قال ذلك هنا، وقال فى غيره ﴿يا أهل الكتاب﴾ لموافقة التعبير هنا قبله وبعده ﴿بالذين أوتوا﴾ ولأنه تعالى استخف بهم هنا قبل، وختم بعد بالطمس وغيره بخلاف ذلك فى غير هذا الموضع.

٢٠٨ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ .. ﴿٤٨﴾﴾ أى من العالم المتعمد.

٢٠٩ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾.

ختم الآية مرة بقوله: ﴿فقد افترى إثمًا عظيما﴾.

ومرة بقوله: ﴿فقد ضل ضلالاً بعيدا﴾.

ولا تكرار فيه وإن اشتركا فى الضلال، لأن الأول نزل فى اليهود، والثانى فى كفار لا كتاب لهم وخص ما نزل فى «اليهود» بالافتراء لأنهم حرفوا وكتموا ما فى كتابهم وذلك افتراء، بخلافه فى الكفار الذين لا كتاب لهم.

٢١٠ ـ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ .. ﴿٤٩﴾﴾

إن قلت: كيف ذمهم على ذلك بما قاله ونهى عنه بقوله: ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾ [يوسف: ٥٥] مع قول النبى ﷺ: «والله إنى لأمين فى السماء، أمين فى الأرض»، وقول يوسف عليه السلام: ﴿قال اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم﴾؟

قلت: إنما قال النبى ما قاله حين قال المنافقون ﴿اعدل فى القسمة﴾ تكذيبًا لهم، حيث وصفوه بخلاف ما كان عليه من العدل والأمانة. وإنما قال «يوسف» ما قاله ليتوصل إلى ما هو وظيفة الأنبياء، وهو إقامة العدل وبسط الحق. ولأنه علم أنه لا أحد فى زمنه أقوم منه بذلك العمل، فكان متعينا عليه.

٢١١ ـ قوله تعالى: ﴿..كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا..﴿٥٦﴾﴾ أى بأن تعاد إلى حالها الأول غير منضجة أى متحرقة فالمراد

---

٢٠٨ ـ البرهان مسألة رقم ٧٣.

تبدل الصفة لا الذات، كما فى قوله تعالى ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات﴾ [إبراهيم:٤٨].

٢١٢ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً ﴿٥٧﴾﴾.

هو عبارة عن المستلذ المستطيب كقوله تعالى: ﴿ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا﴾ جريًا على المتعارف بين الناس، وإلا فلا شمس فى الجنة طالعة ولا غاربة كما أنه لا بكرة فيها ولا عشية.

٢١٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ .. ﴿٦٩﴾﴾.

إن قلت: هذا مدح لمن يطيع الله والرسول وعادة العرب فى صفات المدح الترقى من الأدنى إلى الأعلى وهذا عكسه؟

قلت: ليس هو من ذاك الباب بل المقصود منه الإخبار إجمالاً عن كون المطيعين لله ولرسوله يكونون يوم القيامة مع الأشراف وقد تم الكلام عنه قوله ﴿أنعم الله عليهم﴾ ثم فصلهم بذكر الأشرف فالأشرف بقوله ﴿من النبيين﴾ إلى آخره جريًا على العادة فى تعديد الأشراف. ومثله ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم﴾ وكذلك ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم﴾.

٢١٤ ـ قوله تعالى: ﴿.. إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾.

إن قلت: كيف وصف فيه كيد الشيطان بالضعف، وفى قوله ﴿إن كيدكن عظيم﴾ [يوسف:٢٨] وصف كيد النساء بالعظم مع أن كيد الشيطان أعظم.

قلت: المراد أن كيد الشيطان ضعيف بالنسبة إلى نصرة الله أولياءه، وكيد النساء عظيم بالنسبة إلى الرجال.

٢١٥ ـ قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ .. ﴿٧٩﴾﴾ جمع بينه وبين قوله تعالى ﴿قل كل من عند الله﴾ الواقع ردًا لقول المشركين ﴿وإن تصيبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله﴾ الآية بأن قوله تعالى ﴿قل كل من عند الله﴾ إى إيجادًا.

وقوله ﴿ .. وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ .. ﴿٧٩﴾ ﴾ أى كسبًا. كما فى قوله تعالى: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾ [الشورى: ٣٠] وبأن قوله ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ الآية حكاية قول المشركين والتقدير: فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقون حديثًا فيقولون ما أصابك؟

٢١٦ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾.

يدل بمفهومه على أن فى القرآن اختلافًا قليلاً وإلا لما كان للتقييد بوصف الكثرة فائدة، مع أنه لا اختلاف فيه أصلاً إذ المراد بالاختلاف فيه: التناقض فى معاينة والتباين فى نظمه.

وأجيب بأن التقييد بالكثرة، للمبالغة فى إثبات الملازمة أى لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا، فضلاً عن القليل لكنه من عند الله، فليس فيه اختلاف كثير ولا قليل.

٢١٧ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿٨٣﴾ ﴾.

إن قلت: كيف استثنى القليل بتقدير انتفاء الفضل والرحمة، مع أنه لولاهما لاتبع الكل الشيطان؟

قلت: الاستثناء راجع إلى «أذاعوا به» أو إلى ﴿لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ أو إلى ﴿لاتبعتم الشيطان﴾ لكن بتقييد الفضل والرحمة بإرسال الرسول، أى لاتبعتم الشيطان فى الكفر والضلال إلا قليلاً منكم كانوا يهتدون بعقولهم، إلى معرفة الله وتوحيده كـ «قس بن ساعدة» و«ورقة بن نوفل» قبل البعثة، والخطاب فى الآية للمؤمنين.

٢١٨ ـ قوله تعالى: ﴿ .. كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ .. ﴿٩١﴾ ﴾ أى دعوا إليها ﴿اركسوا فيها﴾ أى عادوا إليها وقلبوا فيها أقبح قلب.

٢١٩ ـ قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَئًا .. ﴿٩٢﴾ ﴾.

فإن قلت: ﴿إلا﴾ هنا فى قوله ﴿إلا خطأ﴾ ما معناها؟

قلت: ﴿إلا﴾ بمعنى «ولا» كما فى قوله تعالى: ﴿إنى لا يخاف لدى المرسلون إلا من ظلم﴾ [النمل: ١٠] وقوله: ﴿لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم﴾.

٢٢٠ ـ قوله تعالى: ﴿.. فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً .. ﴿٩٥﴾﴾.

إن قلت: كيف قال هنا ﴿درجة﴾ وقال فى التى بعدها ﴿درجات﴾؟

قلت: المراد بالأول تفضيلهم على القاعدين بعذر، لأن لهم أجرًا لكونهم من الغزاة بالهمة والقصد، ولهذا قال ﴿وكلاً وعد الله الحسنى﴾ أى الجنة.

والمراد بالثانى تفضيلهم على القاعدين بلا عذر لأنهم مقصّرون ومسيئون، فكان فضل الغزاة عليهم درجات لانتفاء الفضل لهم.

٢٢١ ـ قوله تعالى: ﴿.. قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ..﴿٩٧﴾﴾.

إن قلت: هذا الجواب ليس مطابقًا للسؤال بل المطابق له: كنا فى كذا، أو لم نكن فى شىء؟

قلت: المراد بالسؤال توبيخهم بأنهم لم يكونوا على الدين حيث قدروا على الهجرة ولم يهاجروا فصار قول الملائكة ﴿فيم كنتم﴾ مجازًا عن قولهم: لم تركتم الهجرة؟ فقالوا اعتذارًا عما وبخوا به ﴿كنا مستضعفين فى الأرض﴾.

٢٢٢ ـ قوله تعالى: ﴿.. فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ .. ﴿١٠٠﴾﴾ أى ثبت وتحقق، أو وجب بوعد الله بقوله: ﴿إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا .. ﴿١٠٠﴾﴾ أى متحولاً يتحول إليه، من «الرغام» وهو التراب وسميت المهاجرة مراغمة لأن من يهاجر يراغم قومه، لما يجد فى ذلك البلد من النعمة والخير، ما يكون سببًا لرغم أنف أعدائه الذين كانوا معه فى بلده الأصلى، فإنه إذا استقام حاله

فى البلد الأجنبى ووصل خبره إلى أهل بلده، خجلوا من سوء معاملتهم ورغمت أنوفهم بذلك.

٢٢٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا .. ﴿١٠١﴾﴾.

تقييد القصر بالخوف جرى على الغالب فلا مفهوم له إذ للمسافر القصر فى الأمن أيضًا.

٢٢٤ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ .. ﴿١٠٤﴾﴾.

إن قلت: رجاء الفريقين مشترك إذ الكفار يرجون الثواب فى قتالهم المؤمنين، لاعتقادهم أنه قربة لله، كالمؤمنين فى قتالهم الكفار؟

قلت: ممنوع إذ المراد بالكفار عبدة الأوثان ونحوهم ممن لا يعتقد الجزاء، فاعتقادهم فاسد لبنائه على فاسد فرجاؤهم وهمي فهو كالمعدوم.

٢٢٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ .. ﴿١١٠﴾﴾ المراد بعمل السوء ما دون الشرك، وبظلم النفس الشرك أو بعمل السوء الذنب المتعدى ضرره إلى الغير، وبظلم النفس الذنب القاصر عليها.

٢٢٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ .. ﴿١١٣﴾﴾.

إن قلت: ظاهرة نفى وقوع الهم منهم بإضلاله والمنقول خلافه؟

قلت: المراد بالهم المؤثر أى لهمت هما يؤثر عندك. والمراد بالإضلال الإضلال عن الشريعة أى لهمت أن يضلوك عن دينك وشريعتك، وكل من هذين الهمين لم يقع.

٢٢٧ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى.. ﴿١١٥﴾﴾.

قاله هنا بالاظهار «يشاقق» كنظيره فى [الأنفال: ١٣] وقاله فى [الحشر: ٤] بالادغام، لأن «أل» فى الله لازمة بخلافها فى الرسول. ولأن حركة الحرف الثانى فى ذلك وإن كانت لالتقاء الساكنين كاللازمة لمجاورتها اللازم، فلزم

الادغام فى «الحشر» دون غيرها، وإنما أظهر فى الأنفال مع وجود لفظ «الله» لانضمام الرسول إليه فى العطف، لأن التقدير فيه أن الحرف الثانى اتصل بالمتعاطفين جميعًا، إذ الواو تصيرهما فى حكم شىء واحد.

٢٢٨ ـ قوله تعالى: ﴿ .. مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ .. ﴿١٢٣﴾ ﴾ أى إن مات مصرًا عليه، فإن تاب منه لم يجز به.

٢٢٩ ـ قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ..﴿١٣٥﴾ ﴾ أخر ﴿الله﴾ عن قوله بالقسط هنا، اهتماما بطلب القسط أى العدل، وعكس فى [المائدة:٨] لأن ﴿الله﴾ فيها متعلق قوامين لكون الآية ثم فى الولاة بدليل قوله ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا﴾ أى كونوا أيها الولاة قوامين فى أحكامكم لله لا للنفع.

٢٣٠ ـ قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ .. ﴿١٣٦﴾ ﴾.

الآية، أى داوموا على الإيمان، إذ لو حمل على ظاهره، لكان تحصيلاً للحاصل.

٢٣١ ـ قوله تعالى: ﴿ .. فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ .. ﴿١٤١﴾ ﴾ سمى ظفر المسلمين فتحًا، وظفر الكافرين نصيبًا بعده، تعظيمًا لشأن المسلمين، وتحقيرًا لحظ الكافرين، لتضمن الأول نصرة دين الله وإعلاء كلمته ولهذا أضاف الفتح إليه تعالى وحظ الكافرين فى ظفرهم دنيوى.

٢٣٢ ـ قوله تعالى: ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ ﴾.

كرره لتكرار الكفر منهم فإنهم كفروا بموسى وعيسى وبمحمد ﷺ.

٢٣٣ ـ قوله تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ..﴿١٥٧﴾ ﴾.

إن قلت: اليهود الداخلون تحت أهل الكتاب، كانوا كافرين بعيسى فكيف أقروا بأنه رسول الله.

---

٢٢٩ ـ البرهان ٧٧ والبحر المحيط ٣/ ٣٨٠.

قلت: قالوه استهزاء كما قال فرعون ﴿إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون﴾ [الشعراء: ٢٧].

٢٣٤ ـ قوله تعالى: ﴿ ..وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ .. ﴿١٥٧﴾ ﴾.

وصفهم بالشك لا ينافى بعده وصفهم بالظن لأن المراد بالشك هنا «شك الظن» واستثناء الظن من العلم فى الآية منقطع فـ «إلا» فيها بمعنى «لكن» كما فى قوله تعالى ﴿لا يسمعون فيها لغوًا ولا تأثيما. إلا قيلا سلامًا سلاما﴾ [الواقعة: ٢٦] ونحوه.

٢٣٥ ـ قوله تعالى: ﴿ لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ...﴿١٦٦﴾ ﴾.

إن قلت: كيف قال ﴿أنزله بعلمه﴾ ولم يقل: بقدرته أو بعلمه وقدرته مع أنه تعالى لا ينزل إلا عن علم وقدرة؟

قلت: معناه أنزله ملتبسًا بعلمه أى عالمًا به أو وفيه علمه أى معلومه.

٢٣٦ ـ قوله تعالى: ﴿.. إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ..﴿١٧١﴾ ﴾.

فإن قلت: كلامه تعالى: صفة قديمة قائمة بذاته وعيسى مخلوق وحادث فكيف صح إطلاق الكلمة عليه؟

قلت: معناه أن وجوده كان بكلمة الله تعالى، وهو قوله ﴿كن﴾ من غير واسطة أب، بخلاف غيره من البشر سوى آدم وإنما خص ذلك بعيسى لأنه جىء به للرد على من افترى عليه وعلى أمه مريم.

«انتهت سورة النساء»